

آلية تأثير الشيطان في الإنسان قراءة موازنة بين الفكر الديني والتفسير العلمي

م.د. حميدة صبار الأعرجي
جامعة الكفيل/النجف الأشرف

المقدمة:

إنَّ من القضايا التي شغلت فكر الإنسان -ولعل جذورها ممتدة إلى زمن وجوده الأول على الأرض- مسألة الشرور التي يتعرض لها في نفسه أو فيما يحيطه، وأحد مصاديق هذه الشرور (الشيطان) الذي بات يشغل فكر الإنسان أكثر من الشرور الأخرى، ولاسيما بعد مجيء ذكره في الكتب السماوية، وصيرورته حقيقة دينية لا يمكن إنكار وجودها أو تأثيرها في هذا العالم.

وبمرور الزمن، أصبحت صفات هذا الكائن وأفعاله متبادرة إلى ذهن الإنسان، ومتفقاً عليها -إلى حدٍّ ما- بين معظم الناس على اختلاف عقائدهم، السماوية منها أو غير السماوية، وعلى الرغم من التباين الكبير بين معتققي هذه العقائد، فإنهم يؤمنون بمدى قدرته على فعل الشر وإرادته في ذلك.

وإن كان قد شغل فكر عامّة الناس سابقاً وحسبوا له حساباً إلى درجة عبادته اتقاءً من شرّه، فقد شغل فكر المهتمين في الأديان والعقيدة أكثر منهم.. حين راحوا يعكفون على تحليل نصوص كتب هذه الأديان علّهم يحدّوه بأوصاف تُجمَعُ بها هويته.

وإن كان قد شغل فكر الكهنة والسحرة وأهل الشعبة قديماً، فقد صارت هناك اليوم قنوات فضائية تبث على مدار الساعة تعلّم مشاهديها الرُّقى^(١)؛ للتخلّص من المس والسحر والعين... وغيرها، وصار للمشايخ المشتغلين في هذا المجال منتديات ومواقع خاصة على شبكة الإنترنت^(٢)، وصار لهم زوار بأعداد مهولة. وإن كانت (التوراة) عدته ملاكاً يعمل بأمر الربّ، فهو في (الإنجيل) ملاكٌ ساقط مغضوب عليه ومُهَبَّط إلى الأرض من قبل الربّ^(٣).. وحين آن تجسّد اللاهوت بالناسوت في شخص المخلّص، طال جهاده في تخليص العالم من شرور هذا الكائن ومن الخطايا التي أوقع البشرية فيها، إلّا أنه لم يسلم هو نفسه من يد

الشيطان -بحسب رواية الأناجيل- وطالته أخيراً حينما دخل في تلميذه يهوذا ليوشي به ويكون سبباً في موته^(٤).. لتظل الكنيسة بعده في صراع مستمر مع الشيطان إلى أن يتم القضاء عليه وبشكل نهائي بحسن الخلق الذي تسعى الكنيسة لبثه بين الناس وقهر سيطرته عليهم. وإن كانت هذه نظرة اتباع الشرائع السماوية السابقة إلى الشيطان، فإنها تتجلى أكثر في الشريعة الإسلامية بعد أن رسم (القرآن الكريم) صورته وحذر بني آدم من عداوته أو الركون إلى ولايته. وإذا كان مسلمو عصر التنزيل قد فهموا الشيطان على ظاهر الكتاب إجمالاً، فإنهم بعد دخول الفلسفة وعلم الكلام وتفتق أذهانهم في مباحثهم التفسيرية والكلامية، صاروا يبحثون عن حكمة وجوده وابتلاء الناس بشره، حتى جعل بعضهم في مؤلفاته مباحث خاصة لدراسته، وجعل آخرون كتباً خاصة لمباحثه.

تمهيد: تعريف بمفهوم الشيطان:

المنتبج لتراث الجزيرة العربية، يجد أن مفهوم (الشيطان) كان معروفاً عند إنسان تلك الأرض قبل نزول القرآن الكريم، إذ كانوا يصفون به كل ما هو قبيح عبر كلماتهم وأشعارهم. إلا أن القرآن الكريم رسخ حقيقة هذا المفهوم ومصداقه المتمثل بـ (إبليس) الملعون من قبل الحق تعالى، الأمر الذي بدد به المعتقدات المزيفة للأمم الغابرة، وذلك حين نعته بأوصاف دللت على أفعاله بما لا يسبق إلى الذهن إلا شره وعداوته لله ﷻ، وللاإنسان.

إذ ورد ذكر الشيطان في الكتاب العزيز نحو (ثماني وستين)^(٥) مرة، معرّفاً بـ (ألد) التعريف -الشيطان- وأريد منها شخص إبليس نفسه، أو من هو من جنسه، منها في قوله تعالى:

- ﴿وَسُوسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى﴾^(٦).

- ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزَنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئاً إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(٧).

وورد بلفظ الجمع (الشياطين) سبع عشرة مرة، وأريد منه مرادة الجن والإنس، ومرتان بلفظ المفرد (شيطاناً) أُشير بهما إلى (إبليس) بعد أن تمرد وخرج عن طاعة الله تعالى، ومن هو على شاكلته، ومرّة واحدة بلفظ النسبة إلى الجمع (شياطينهم).

أما لفظ (إبليس) فقد ذُكر في القرآن الكريم نحو إحدى عشرة مرة، تسع منها فيها إشارة إلى قصة خلق آدم ﷺ وامتناع إبليس عن تنفيذ الأمر الإلهي بالسجود.

أولاً: مفهوم (الشيطان) في اللغة:

ذكر اللغويون: أنّ نون كلمة (شيطان) إذا كانت أصلية فإنها مأخوذة من (شطن) وهي البعد، أي بعد عن الخير.. أو من (الحبل الطويل) كأنه طال في الشر، وأما إن جعلت النون زائدة فإنه يكون من (شاط يشيط)، إذا هلك، أو من استشاط غضباً، إذا احتد غضبه والتهب^(٩). ورجح بعضهم أنها في الأول أحق وأصح؛ ومنها قوله تعالى: ﴿...وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ...﴾^(١٠)، أي مردتهم من (الشطن) وهو البعد، فكأنهم تباعدوا عن الخير، وطال مكثهم في الشر^(١١).

وقد شبّهت العرب كل ما هو قبيح في الشكل أو الفعل بالشياطين، وفيه قوله تعالى وهو يصف شجر النار: ﴿طَلَعَهَا كَأَنَّه رُعُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾^(١٢). و الزجاج: وجهه أنّ الشيء إذا استقبح شُبّه بالشياطين فيقال كأنه وجه شيطان وكأنه رأس شيطان؛ والشيطان لا يرى، ولكنه يُستشعر أنه أقبح ما يكون من الأشياء، ولو رُوي لرُوي بأقبح صورة^(١٣).

ثانياً: الشيطان في الاصطلاح:

من المعروف أنه إذا أُريد تعريف مفهوم ما تختلف الرؤى بحسب اختلاف فهم المعرّف للمعرّف، وما يريد في تعريفه من وجهة نظره الخاصة به.

من هنا، لا بدّ من التفريق بين وصف الشيطان، والشيطان نفسه.. فالشيطان بالوصف العام، معناه كل من يُبعد الناس عن طاعة الله وعن منطق الحق، وكل من يُغري بالمعصية، ويحاول أن يدفع الإنسان إلى الشر، فكل واحد من هؤلاء هو شيطان، سواء كان من الجن أم من الإنس، فهم يجمعهم وصف واحد، كما

يجمعهم الاتحاد في المتعة بنشر المعصية والإفساد في الأرض^(٤)، وشيطان الجن يُطلق على العاصي منهم، كما أنّ شيطان الإنس يُطلق على العاصي منهم..

إذن فاللفظ هنا وصف لمعنى معين، وليس إشارة إلى شخص باسمه، فكل من كان عاتياً متمرداً داعياً إلى الكفر والشرك والعصيان فهو شيطان. وعلى هذا الأساس، يمكن تعريف (الشيطان) اصطلاحاً بالقول: هو كل جانٍ، أو إنسانٍ، عاتٍ متمردٍ، مبتعدٍ عن الخير ومطيلٍ في الشر.

أما مقصود البحث من مفهوم (الشيطان) هنا، فهو في بعده (الجاني)، أي الموجود الذي وصفه القرآن الكريم بأنه مخلوق من نار، وبأنه له قدرات خارقة على التأثير في الإنسان، وهذا ما سيتم دراسته في المبحثين الآتيين.

المبحث الأول: تفسيرات علماء المسلمين:

لا يخفى أنّ مستقى علوم الأديان السماوية مأخوذ مما ينسب إلى الوحي الإلهي المدوّن في الكتب المقدسة، وبطبيعة الحال فإنّ هذا العلم مقيد ولا يتعدى ما جاء في هذه الكتب إلا من حيث تعدد القراءات له، كما أنّ علماء المسلمين يضيفون إلى الوحي القرآني تعاليم المعصوم عليه السلام التي وردت في كتب الحديث.

والمستقرى للنصوص التي ذكرت (الشيطان) في الكتب المقدسة جميعاً لا يجد فيها تصريحاً للكيفية التي يؤثر بها في الإنسان، أو فيما إذا كان هذا الأثر مادياً أم معنوياً، بل قد صرح علماء المسلمين ومفسروهم بقصورهم عن معرفة هذه الكيفية، وعدوها من المبهمات التي لا يعلمها إلا الله والراسخون في العلم، اللهم إلا ما أخبر به ظاهر الآيات القرآنية في أنّ الشيطان يقصد الإنسان من كل جانب ليفسد عليه أمره ويخرجه عن الصراط المستقيم.

إذ يذهب الشيخ الرئيس (ت: ٥٤٢٨ هـ) -بناءً على مذهبه الفلسفي- إلى أنّ المقصود من (الشيطان) أو (وسوسته)، الصورة الرمزية للقوة المتخيلة عند النفس الإنسانية، وأنّ هذه القوة تعاكس في حركتها للقوة النفسية العاقلة، من حيث جذبها إلى الاشتغال بالمادة وعلائقها.. إذ يقول في تفسيره للآية الكريمة ﴿من

شَرَّ الوَسْوَاسِ الخَنَاسِ^(١٥): «هذه القوة التي توقع الوسوسة، هي القوة المتخيلة بحسب صيرورتها مستعملة للنفس الحيوانية، ثم إن حركتها تكون بالعكس، فإن النفس وجهتها إلى المبادئ المفارقة، فالقوة المتخيلة إذا جذبتها إلى الاشتغال بالمادة وعلائقها فتلك القوة تخنس، أي تتحرك بالعكس، وتجذب النفس الإنسانية إلى العكس، فهذا سمي خناساً»^(١٦). وأن (الصدر) هو المكان الذي تجد فيه هذه القوة ضالتها؛ لأنه بحسب تعبير ابن سينا «المطية الأولى للنفس، لما قد ثبت أن المتعلق الأول للنفس الإنسانية هو القلب، وبواسطته تثبت القوى في سائر الأعضاء»^(١٧).

ويذهب الفخر الرازي (ت: ٦٠٦هـ) إلى أن أمر الشيطان ووسوسته عبارة عن الخواطر التي يجدها الإنسان في نفسه، أما ماهية هذه الخواطر، فيقول إن الناس اختلفوا في تحديدها، فذهب بعضهم إلى أنها حروف وأصوات خفية، وذهب الفلاسفة إلى أنها تصورات الحروف والأصوات وتخيلاتها وهي أشبه بالصور المنطبعة في المرايا. أما هو نفسه -وعلى مبناه الكلامي الأشعري- فلم يستبعد قدرة الشيطان على إلقاء الكلام في أقصى الدماغ أو في أقصى القلب، على فرض أن الشيطان والملك ذوات لطيفة قائمة بأنفسها، ومن ثم لها القدرة على مثل هذه الأعمال^(١٨).

كما لم يستبعد الرازي نفوذ الشيطان في مضايق باطن الإنسان ومخارق جسمه، وقدرته على توصيل الكلام إلى أقصى قلبه ودماغه؛ لما يتمتع به من لطافة جسمانية، على أن هذه اللطافة مستحكمة التركيب، بحيث يكون اتصال بعض أجزائه ببعض الآخر اتصالاً لا ينفصل، فلا جرم لا يقتضي نفوذها في هذه المضايق والمخارق انفصالها وتفرق أجزائها. ثم خلاص إلى القول بأن كل هذه الآراء مجرد احتمالات، ولكن لا دليل على فسادها، وأنهى رأيه بأن الأمر في معرفة حقائقها هو عند الله تعالى لا غير^(١٩).

وهذه إشارة صريحة وواضحة منه -أو من غيره من المفسرين والمتكلمين والفلاسفة- بالقصور عن معرفة آلية أو كيفية تأثير الشيطان على الإنسان. ولا عجب في ذلك؛ لأن مآله عالم الروح الغائب عنا، اللهم إلا من يعيش ذلك العالم أو الراسخون في العلم ممن أعلمهم الله تعالى به.

وعلى مباني الحكمة المتعالية عند الملائكة صدى (ت: ١٠٥٠هـ)، فإنَّ مبدأ خواطر الإنسان هو القلب الحقيقي، الذي مثله مثل المرأة المنصوبة التي يجتاز عليها أصناف الصور المختلفة، فيرى فيه صورة بعد صورة لا يخلو عنها دائماً. وفي كل حال فإنَّ مداخل هذه الآثار المتجددة في القلب تكون إما من الظاهر المتمثل بالحواس الخمس، وإما من الباطن المتمثل بالخيال والشهوة والغضب والأخلاق والصفات الذميمة^(٢٠).

وفي كلتا الحالتين، فإنَّ الخواطر المتولدة من الإدراك الظاهري والإدراك الباطني تكون مبدأ لأفعال الإنسان. فالخاطر يحرك الرغبة، والرغبة تحرك العزم، والعزم يحرك النية، والنية تحرك الأعضاء، وتكون هذه الخواطر إما داعية إلى الخير، وإما داعية إلى الشر، ولما احتاجت إلى تسمية.. سميت الأولى (إلهاماً) وسميت الأخرى (وسواساً). والخواطر هذه -بحسب العرف الفلسفي- حادثة، وكل حادث لا بد له من سبب، فسبب الخاطر الداعي إلى الخير يسمّى في عرف الشريعة (ملكاً)، وسبب الخاطر الداعي إلى الشر يسمّى (شيطاناً)^(٢١).

وإنَّ الملك والشيطان -عند الشيرازي- جوهران^(*) استخرهما الله تعالى بقدرته في قلب القلوب، لما للقلب من أرضية صالحة لقبول آثار الملكية والشيطانية صلاحاً متساوياً، وإنما يترجح أحد الجانبين باتّباع الهوى والإكباب على الشهوات، أو بمخالفتها والإعراض عنها^(٢٢).

أما كيفية إحداث هذه الخواطر -الملكية أو الشيطانية- في الإنسان، فإنها تتم عن طريق النفس، من حيث إنها وجود هيولاني قابل للارتباط والاتحاد بالملك والشيطان بتوسط قوتي العقل والوهم، فتكون عندها النفس مسرحاً لمعركة دائمة بين جندي الملائكة والشياطين إلى أن يفتح لأحدهما ويستوطن فيه، ويكون اجتياز الثاني فيه اختلاصاً^(٢٣).

وإنَّ أكثر النفوس -في رأيه- قد فتحها وسخرها جنود الشيطان وملكوها فامتألت بالوسوس الداعية إلى إثارة العاجلة وإطراح الآخرة، مستدلاً بما نسب للنبي (صلى الله عليه وآله) قوله: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَلَهُ شَيْطَانٌ»^(٢٤). وكما أنَّ الشهوات ممتزجة بلحم الأدمي ودمه، فسلطنة الشيطان أيضاً سارية في لحمه

ودمه ومحيطه بالقلب الذي هو منبع الدم المرگب للروح البخاري(*) الحاصلة من القوى الوهمية والشهوية والغضبية^(٢٥)، مؤيداً رأيه بما نسب إلى النبي (صلى الله عليه وآله) من قوله: إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم^(٢٦).

على حين ذهب كبار المتصوفة -على ما ينقل عنهم العلامة الآلوسي (ت: ١٢٧٠هـ)- إلى أن خبر: (الشيطان يجري من بني آدم مجرى الدم) محمول على الكناية عن مزيد سلطانه عليهم وانقيادهم له، وليس هناك من دليل أو جزم على دخوله في القلب، بل لا يُعقل ذلك، ولا يُعرف من آثاره إلا الهواجس والخواطر التي تفضي إلى ما تفضي من أثر في الإنسان^(٢٧).

وكذلك صرح العلامة الطباطبائي أيضاً -وعلى مبناه الفلسفي والكلامي- بعدم معرفة فعل إبليس وكيفية تأثيره في الإنسان، لأن الله سبحانه لم يصف من ذات هذا المخلوق الشرير إلا يسيراً^(٢٨)، ولكن يمكن أن يُستشف عمله من خلال قوله تعالى -حكاية عنه-: ﴿قَالَ فِيمَا أُغْوِيْتَنِي لِأَفْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(٢٩)، الذي فيه إشارة إلى حقيقتين: إحداهما: أن عمله من قبيل عمل النار التي تمس الماء بسخونتها فتسخنه، فهو يمس بني آدم بنفسه الغوية ولا يُودع فيهم إلا الغواية. وثانيهما: أن الذي يمسهم منهم هو شعورهم الإنساني وتفكرهم الحيوي المتعلق بتصورات الأشياء والتصديق بما ينبغي فعله أو لا ينبغي^(٣٠).

الأمر الذي استدل منه على أن ميدان عمل الشيطان هو الإدراك الإنساني، ووسيلته فيه العواطف والاحساسات الداخلة، فهو الذي يلقي الأوهام الكاذبة والأفكار الباطلة في النفس، ومع ذلك لا يشك الإنسان في أن هذه الأفكار والأوهام أفكار لنفسه، يوجد لها هو في نفسه من غير أن يشعر بأحد سواه يلقيها إليه أو يتسبب إلى ذلك بشيء، مثلها مثل سائر أفكاره وآرائه التي لا تتعلق بعملٍ وغيره، من قبيل تصويره بأن الواحد نصف الاثنين، وأن الأربعة عدد زوجي، وأمثال ذلك. وليس هناك من تلاحم بين ما يلقي الشيطان من أفكار وأوهام في النفس وبين ما يشعر به الإنسان من أنها أفكار لنفسه^(٣١).

ويبدو أن هذه الرؤية الفلسفية والكلامية لماهية الشيطان وعمله هي الأقرب إلى التصديق العقلي.

المبحث الثاني: تفسيرات علماء الطب:

حاول بعض من المشتغلين في العلوم التطبيقية وضع تفسيرات لآلية تأثير الشيطان في الإنسان، وكل في مجال تخصصه، سيعرض البحث لتفسيرين منها في مجالي النفس وفلسفة الجسم في المطلبين الآتيين.
المطلب الأول: تفسير الطب النفسي:

هناك كثير من الناس من يربط الأمراض النفسية التي تصيب الإنسان بالشيطان، بحيث يعطونه القدرة في السيطرة على عمل الدماغ وبالتالي ظهور أعراض الأمراض النفسية عليه، ولعلمهم يستندون في ذلك إلى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾^(٣٢)، ظنا منهم بأن المقصود من مسّ الشيطان في هذه الآية الكريمة هو مرض الصرع أو التلبس به.

وربما تسمع من أحدهم أن هناك من يعتقد بوجود مرضى يتلبس الشيطان بهم ويغيّبهم عن الوعي، ويعتقد أن للشيطان أو الجن القدرة على أن يتحدث بداخلهم وعلى ألسنتهم بنبرات وأصوات تختلف عن صوت المريض الأصلي، وربما يذكر هذا المتحدث -أي الشيطان- اسمه ويلده وديانته، وأنه معجب بالإنسان الفلاني أو مغرم به، أو.. أو.. إلخ. بل هناك أناس من المشتغلين في الرقى وإخراج الأرواح الشريرة من يحاول إقناعك بأنه قادر على إخراج الجن من جسد المتلبس به بضرب المريض ضرباً مبرحاً وبتخويفه بالصوت المرتفع^(٣٣)!!

غير أن علماء النفس، والأطباء النفسيين، يرفضون هذا الأمر رفضاً باتاً، وينكرون أن تكون هناك أي علاقة للشيطان بالمرض النفسي. وما الأعراض التي تظهر على المريض النفسي بحسب رأيهم إلا «نتيجة تغييرات كيميائية في الجهاز العصبي، ويمكن علاجها عن طريق تعديل الخلل الذي يعاني منه المريض باستخدام الأدوية النفسية الحديثة»^(٣٤).

إذ تؤكد الدراسات النفسية الحديثة أن مرض الوسواس القهري OCD يصيب ٢-٣% من الناس وهو شائع ومنتشر بينهم، غير أن أغلبهم يربطه بالشيطان؛ للمشارك اللفظي بينه وبين (الوسواس الخناس) الذي ورد ذكره في الكتاب العزيز. وقد كشفت الدراسات العلمية عن علاقة هذا المرض بنقص بعض المواد

الكيميائية في المخ مثل مادة السيروتونين التي يتسبب اختلالها في أعراض الوسواس القهري، وهي: أعمال وسواسية في صورة تكرار أفعال وطقوس لا معنى لها، من قبيل تكرار غسل الأيدي، أو الطهارة عند ملامسة أي شيء، أو التمتمة بكلمات، أو أعداد معينة قبل بدء أي عمل، أو إعادة الوضوء مرات عدة قبل الصلاة.. إلى غيرها من الأفعال. وقد استطاع الطب النفسي التعامل مع هذه الوسواس بالعلاج الدوائي الذي يعيد الإنسان إلى طبيعته وانه (٣٥).

أما عند الإصابة بمرض الهلوسة Hallucination فإن المريض يتصور أنه يرى أشياء ويسمع أصواتاً تتحاور معه أو تهدده، أو تأمره بفعل أشياء معينة، وقد يفسرها بعض بوجود شياطين هي التي تفعل ذلك، إلا أن الطب النفسي يرجع سببها إلى وجود خلل في جهاز الاستقبال لدى المريض يجعله يستقبل صوراً وأصواتاً لا وجود لها. ومن الممكن أيضاً علاج هذا المرض بالأدوية الكيميائية (٣٦).

أول من حاول دراسة النفس الإنسانية بشكل تطبيقي، طبيب الأعصاب النمساوي فرويد (٢*)، حين قام بتحليل قصة عصاب إبليسية -بحسب تسميته لها- دارت أحداثها في القرن السابع عشر الميلادي، نُشرت في مخطوطة بقلم أحد الرهبان في مزار (ماريازل) في النمسا.

إذ تروي هذه المخطوطة الحلف الذي عُقد بين الشيطان وبين الرسّام (كرستوف هاينزمن) الذي وهب نفسه إليه بعد أن توفي والده وأصبحت الدنيا أمامه سوداوية، فظهر له الشيطان وسأله عن سر اضطرابه وحزنه الشديدين، ووعدته بأن يساعده بثتى الوسائل ويسعفه.

وبعد فترة من الزمن، حاول الشيطان أن يوقع الرسّام في الخطيئة لمدة تسع مرات وكان يقاومه، إلا أنه في المرة الأخيرة انصاع له واتفق معه على أن يعقدا عهداً بينهما، يكون الشيطان أباً له، ويوفر له كل ما يحتاجه، في قبال أن يسلم (هاينزمن) نفسه له بعد مضي تسع سنوات (٣٧).

وفعلاً تم العهد بينهما وفق نصّين وقّعهما الرسّام مع الشيطان، والنصّان هما -حسب فرويد- : «العقد الأول، المكتوب بالحبر، ينص على ما يلي: أنا الموقع هنا، كرسستوف هاينزمن، أنذر نفسي لهذا السيد وكأني ابنه من صلبه لمدة تسع سنوات. العام ١٦٦٩م، وينص العقد الثاني المكتوب بالدم: كرسستوف

هاينزمن، أعهد بنفسه كتابةً إلى هذا الشيطان، واعدًا بأن أكون ابنه من صلبه، وبأن أكون بعد تسع سنوات ملكاً له جسداً وروحاً»^(٣٨).

وبتحليل فرويد للنصين، يرى أن الفرق بين التعبيرين: (السيد، والشيطان) راجع إلى أن الرسام قد تراءى له الشيطان أول مرة على هيئة رجل برجوازي محترم متقدم قليلاً في السن، ذي لحية سمراء ومعطف أحمر، وقبعة سوداء، ويده اليمنى تستند إلى عصا وإلى جانبه كلب أسود. وبعد ذلك تراءى له بهيئة الشبح وبمظهر مرعب أكثر فأكثر حتى أصبحت صورته بشعة (بقرون، ومخالب نسر، وأجنحة خفاش)^(٣٩).

وبعد مضي السنوات التسع، صار الأمر مهولاً للرسام حين آن موعد الوفاء بالعهد مع الشيطان في وهب نفسه له، فحاول بشتى الوسائل التخلص منه وتردد على الأطباء ولكن من دون جدوى.

وفي يوم ٢٩ آب ١٦٧٧م بينا هو في الكنيسة يزاول الرسم، أصابته نوبة تشنجات قوية، ولما ازدادت في أيام لاحقة، تفحصه الوكيل الرياني أو (المدير الرسولي) لبلدة برونتبرون وسأله عما يعذبه، فاعترف له بالعهد الذي وقّعه مع الشيطان مسبقاً وقد حان موعد انتهاء التسع سنين، ولذلك جاء إلى مزار الماريازل ليستجد بوالدة المسيح العذراء مريم للتخلص منه؛ لأنه يعتقد أنها وحدها التي تستطيع إنقاذه بإرغامها إبليس على أن يعيد إليه العهد الذي خطه بدمه^(٤٠).

وبعد طول توبة وصلاة وتوسل في الكنيسة، بمشاركة رهبانها، وبتاريخ ٨ أيلول -وهو عيد ميلاد العذراء- وعند منتصف الليل ظهر الشيطان في المزار المقدس في صورة تنين مجنح أستطاع أن يراه الرهبان المعزّمون أيضاً -عزيمة لا يستبعد فرويد أنها كانت هلوسة جماعية منهم- وأخيراً سلّم الشيطان العهد المكتوب بالدم إلى الرسام، فغادر بعد ذلك الكنيسة وهو في أحسن حال، وقصد فيئاً وسكن مع أخته المتزوجة هناك.

وبعد مدة انتابته النوبات والآلام السابقة نفسها، وصار يرى أحلاماً مزعجة وغيبيات وتشنجات ترافقها إحساسات مؤلمة للغاية، غير أنّ هذه المرة ليس الشيطان هو الذي يعود بل أناس قديسون من قبيل المسيح والعذراء..! والعجيب أنّ هذه الآلام ما كانت تقل عن العقوبات التي كان يعانها تحت وطأة

علاقاته مع الشيطان، فعاد إلى الماريازل، وكانت الذريعة التي تقدم بها إلى الرهبان لتعليل عودته أنه لا يزال عليه أن يطالب الشيطان بصك عهد آخر كان قد كتبه بالحبر، واستجاب الرهبان التماسه بشفاعة القديسة مريم العذراء وصلّى من جديد، واستجابةً لصلاته أُعيد إليه الصك الثاني. وبعد أن شعر بالتحسن وأنه قد تحرر من الشيطان تماماً، انتسب إلى رهبانية أخوة الرأفة^(٤١).

في نهاية سرد هذه القصة، يخلص فرويد -بعد تحليل الحالة النفسية للرّسام- إلى القول بأنّ العدد (٩) الذي يرد مرتين^(٣*) في المخطوطة، عدد مألوف لدينا في الاستيهامات العصائية، فهو عدد أشهر الحمل، وهو يوجه انتباهنا على الدوام، حال ظهوره إلى تخييل يتعلق بالحمل^(٤٢).

ويذهب فرويد إلى أنّ الرسام في أثناء مدة الطفولة التي فقد فيها والده المحبوب، أُصيب بمرض السوداوية، ولهذا السبب رأى الشيطان بهيئة (شيخ) تعويضاً عن صورة أبيه، لأنه كان بحاجة إلى إشباع حاجاته التي فقدتها بفقدان والده^(٤٣). وحينما حان موعد الوفاء بالعهد وسلّم نفسه للشيطان بفعل أشياء محرّمة ومستهجنة، كانت إشباعاً لحاجاته الغريزية، وحين انتبه لنفسه وأراد أن يتخلص من الشيطان،

ذهب إلى الكنيسة واستعان بالرهبان في التوسل إلى العذراء للتخلص منه، وبعدها تنسك وصار راهباً^(٤٤). وفي كل هذه الأحداث التي مرّ بها الرسام، يخلص فرويد إلى تحليل شخصيته كاملة.. حتى أدرجه أخيراً ضمن الناس المعروفين باسم (الرضعاء الدائمين) الذين «لا يسعهم أن يخرجوا بأنفسهم من الوضع السعيد الذي كانوا يرتعون به في حضن الأم، والذين يقضون حياتهم بكاملها وهم يبحثون عن يطعمهم ويقيتهم»^(٤٥)، مستنتجاً ذلك من قصته التي تنطلق من الأب ليعود أدراجه، مروراً بالشيطان بديلاً للأب، ثم إلى الآباء المقدسين.

لعل هذه القصة ليست بغريبة عن مسامع كثير منّا، وربما هناك قصص كثيرة من أشباهها في مجتمعات مختلفة -لا سيما قليلة الثقافة والنضج منها- وعلى الرغم من أنّ علماء التحليل النفسي يرونها نتيجة تراكمات حاجات نفسية في اللاشعور، وأنّ الإنسان يحاول التنفيس عنها بهذه الهلاوس من دون وعي

منه، إلا أنها من غير المستبعد أن تكون فعلاً من عمل الشيطان ووساوسه أو تخوفه، جراء صدمة يتعرض لها أو أزمة عاطفية، يضعف فيها إيمانه ويتخلى عن قوة إرادته في التحكم بعمل الدماغ بشكل عام، ومن ثم في قوة التعقل حتى يصبح مرتعاً للشيطان، ولا سيما أننا نعتقد -من حيث إننا مسلمون- بما أخبر به الله تعالى في كتابه الكريم -حكاية عن الشيطان- أنه يتصرف في بني آدم «من جهة العواطف النفسانية من خوف ورجاء وأمنية وأمل وشهوة وغضب، ثم في أفكارهم وإرادتهم المنبعثة منها»^(٤٦)، على أن سلطانه يبقى ضعيفاً ولا يقوى إلا بانصياع الإنسان إليه بإرادته.

المطلب الثاني: تفسير المشتغلين بعلم الطب البدني:

حاول بعض من يشتغل بالطب البدني تفسير الآلية التي يؤثر بها الشيطان في الإنسان من خلال تأثيره المادي في فسجة الخلايا العصبية.

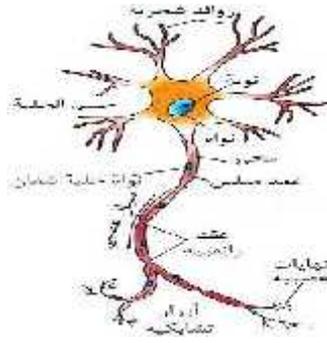
سيتناول البحث هذا التفسير من وجهة نظر الطبيب (جميل الدويك) الذي يزعم إنه عمل مع فريقه في هذا الموضوع داخل المؤسسة التابعة له لمدة ست سنوات، بدراسات تجريبية لتأثير الأطعمة المذكورة في القرآن الكريم على أكثر من (٣٢٢)^(٤٧) مريضاً، وقد كتب نتائج هذه الدراسات في بحث تعدت أوراقه الخمسة آلاف ورقة -على حد قوله- مع فيلم بالصور المتحركة ثلاثية الأبعاد لمدة ساعة كاملة، وعدّ الدويك النتائج التي توصل إليها نتائج مذهلة واكتشافات جديدة، وتمنى أن تكون «فتحاً كبيراً للمسلمين وطريقاً جديداً لحل كافة المعتقدات الخاطئة والتي رافقت هذه التصورات منذ مئات السنين»^(٤٧). كما يرى أن العمل الذي قامت به مؤسسته مبني على فكرة مركزية «تطرح لأول مرة في التاريخ»^(٤٨) على حد قوله.

يبتدئ الدويك بحثه المكتوب -بعد ذكره لآيات قرآنية عدة في تأثير الشيطان في الإنسان- بعرض علمي لكيفية عمل الخلايا العصبية وكيفية سماع الأصوات وتحليلها، وكيفية عمل البصر وحوث الرؤية والنظر وتحليل الصور في الجهاز العصبي للإنسان، وكيفية حدوث الحركة في الأعضاء بأوامر من مناطق الدماغ المختلفة، وكيفية سريان الطاقة في جسم الإنسان عموماً^(٤٩).

إذ يعتقد الدويك أنّ النواقل العصبية وشحنات الدماغ تقع تحت تأثير أربعة مخلوقات، هي:

- المخلوق الأول: نفس الإنسان.
- المخلوق الثاني: الموجات الكهرومغناطيسية.
- المخلوق الثالث: الطعام وأثره على الجهاز العصبي.
- المخلوق الرابع: الماء، مستنداً إلى قوله تعالى: ﴿...وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ...﴾^(٥٠).

وقد فصل في وظيفة هذه المخلوقات وعملها بإسهاب لا يسع المقام لذكرها، غير أن الذي يهم البحث هنا، هو المخلوق الثاني؛ لأنّ الدويك يعتقد بأنّ تركيبة الشيطان -أي إبليس وقبيله- عبارة عن (موجات كهرومغناطيسية) قادرة على التأثير في الإنسان بشكل مباشر، ومن الممكن كشف هذا التأثير تجريبياً.



يقول: «إنني أعتقد بأنّ الشيطان يستطيع وبشكل علمي مباشر أن يؤثر على الشحنات الكهربائية المتولدة في المحاور الاسطوانية للخلية العصبية ومن ثم فإنه يستطيع أن يؤثر على النواقل العصبية»^(٥١)؛ لأنه مخلوق من نار، والنار ما هي إلا ضوء وحرارة، وما هما إلا موجات كهرومغناطيسية^(٥٢).

ولبيان مقصده من هذه المقولة، يجدر بنا أولاً التوضيح -وإن كان على نحو الإجمال والاختصار- لآلية الاستقطاب الكهربائي التي تحدث في الخلية العصبية بحسب التفسير العلمي لفلسجتها، مع رسم توضيحي لمكونات الخلية العصبية.

تتم آلية الاستقطاب هذه من خلال فرق الجهد -الكهربائي- بين داخل الخلية العصبية ومحيطها الخارجي بما يتراوح بين (-٥٠ و -١٠٠ ملي فولت)، بحيث يكون السطح الداخلي لغشاء الخلية أو (المحور Axon العصبي لها) سالباً، والسطح الخارجي لها يكون موجباً في حالة جهد الراحة Resting

Potential، وفي حالة تنبيه المحور العصبي بأي منبه خارجي أو داخلي، ينعكس الاستقطاب (الكهربي) ما بين داخل وخارج المحور العصبي، وهذا الانقلاب في استقطاب غشاء المحور العصبي يولد تيارات كهربائية ضعيفة محمولة على أيونات -الصوديوم Na^+ والبوتاسيوم K^+ المختلفي التركيز داخل وخارج الخلية- تسري من المناطق الموجبة الشحنة إلى المناطق السالبة الشحنة المجاورة لها.



وتعمل التيارات التي تسري بالسائتوبلازم المحوري والتي تعبر من خلال الغشاء الخلوي ذات النفوذية الانتقائية لأيونات البوتاسيوم والصوديوم بعملية التنافذ^(٥*) إلى الخارج في المناطق المجاورة للمنطقة المنبّهة على انقلاب الاستقطاب فيها، وبهذه الآلية تسري السيالة العصبية Impulse على طول المحور للخلية العصبية ومنه تنتقل إلى الخلايا العصبية الأخرى لنقل الإيعازات إلى أجهزة الجسم المختلفة وكل حسب اختصاصه^(٥٣).

علماً أنّ أيوني الصوديوم والبوتاسيوم يمثلان عاملاً مهماً في عمل الخلية العصبية، وإنّ أي نقص يحصل في أحدهما -نتيجة سوء التغذية، أو عدم الموازنة الغذائية- يؤدي إلى ضعف فرق الجهد في الخلية العصبية، ومن ثمّ التأثير السلبي على عملها وعمل الدماغ بشكل عام. وبهذا الصدد، ينقل الدويك عن كتاب (كيمياء الإنسان Chemistry of the man لبرنارد جنسن) الأعراض النفسية التي يتعرض لها الإنسان نتيجة نقص البوتاسيوم في الجسم، ومنها:

- ١- الشعور بالخوف والقلق والهلع والتوتر.
- ٢- حدوث أحلام اليقظة، ومرادة كثير من الأفكار غير الواقعية أثناء النهار.
- ٣- الميل نحو العنف والانفعال لأدنى الأسباب، والثورات الانفعالية والغضب العارم.
- ٤- حدوث الأفكار الوسواسية تجاه الآخرين والشك بأنهم يخونونه أو يريدون قتله.
- ٥- فقدان الطموح، وفقدان الرغبة في الاندفاع والإقدام للعمل، وشعور المريض وكأنه مربوط.

- ٦- السلبية والانعزال والابتعاد عن الآخرين، وانخفاض الطاقة بشكل كبير، والتي تشاهد كذلك عند المصابين بالاكتئاب، و الوسواس، والقلق^(٥٤).
أما نقص الصوديوم في الجسم فينتسبب في:
- ١- السوداوية والاكتئاب الشديد. والاحساس بأن الحياة لا طعم لها ولا معنى، مع فقدان الاهتمام بالأمور اليومية.
- ٢- صداع عنيف، وسهولة الاستثارة العصبية.
- ٣- حالات من النعاس، لاسيما بعد تناول الطعام.
- ٤- إرهاق جسدي ونفسي، والقلق والمخاوف الغامضة، وعدم القدرة على الاسترخاء بسبب التوتر والقلق.
- ٥- الميل للنزاع والخصام والمشاكسة والافتتال مع الآخرين، ويستحوذ على المريض شعورٌ بالكراهية تجاه الناس وتجاه المجتمع.
- ٦- صعوبة في التفكير والاستغراق فيه، وضعف في الذاكرة، وصعوبة في استدعاء المعلومات.
- ٧- ضعف شديد في المحاكمة العقلية (وهي التي تعطي القدرة على تمييز الحق من الباطل) حيث لا يمكن الاعتماد عليها.
- ٨- تصبح السيطرة على أوامر الشخص المصاب وأفعاله ضعيفة جداً.
- ٩- الظلام يحدث له توتراً شديداً وخوفاً وتوجساً لا سيما عند النساء، على الرغم من أنها تعرف أن خوفها لا مسوغ له.
- ١٠- يتسبب في إحداث أحلام مزعجة وكوابيس وأرق بين الساعة الواحدة والخامسة صباحاً، وعندما يصحو المريض في الصباح يعاني من التعب والإرهاق والاكتئاب والتوتر.
هذا فضلاً عن أن نقص الصوديوم له آثار مادية على الجسم، من قبيل الشعور بآلام شديدة في أسفل الظهر وخدر وتتميل في الأطراف، مع شعور بحرارة على مسير العصب، والصداع، ونقص في الشهية،

وانتفاخ في القولون، وتساقط في الشعر، وعسر الهضم، وجفاف في الحلق، وضعف ووهن وعدم فعالية وتعب شديد في الجسم^(٥٥).

وهذه التأثيرات في الجسم والنفس -بالتأكيد- هي نفس التأثيرات الناتجة عن تأثير الشيطان في الناس الممسوسين والصرعى بحسب اعتقاد كثير منهم، إذ لما لم يجدوا لهذه الأمراض من أسبابٍ فلا يجدون مخرجاً إلا بأن ينسبوا إلى الشيطان!!



يسترسل الدويك بعد هذا العرض بشرح كيفية تكون الموجات الكهرومغناطيسية في جسم الإنسان نتيجة الاستقطاب في الخلايا بفعل الماء الذي يعد أكبر مستقطب للشحنات الكهربائية في الجسم. فيؤكد على أن كل مجال كهرومغناطيسي من ذرة مشحونة تحدث تفاعلاً حيوياً يتجمع مع مجال كهرومغناطيسي من ذرة مشحونة أخرى بسبب تفاعلاتها الحيوية الأخرى، وهذان بدورهما يتجمعان مع مجال كهرومغناطيسي من ذرة ثالثة ورابعة وخامسة موجودة في داخل الخلية

وتقوم بوظيفتها، وهكذا تتجمع ملايين بل مليارات المجالات الكهرومغناطيسية من خلية واحدة، فيصبح لكل خلية في الجسم مجالاً كهرومغناطيسياً خاصاً بها متجمعاً من ملايين الذرات المشحونة التي تعمل وتتفاعل بداخلها، وهذا بدوره يجعل المجالات الكهرومغناطيسية الكبيرة المنطلقة من كل خلية من خلايا الجسم، والناتجة عن المجالات الكهرومغناطيسية الصغيرة لتفاعل عناصر هذه الخلية تتجمع بالطريقة نفسها مع بعضها بعضاً وتتخذ مساراً لتسري فيه الطاقة بين الخلايا، وهو مسار صغير للطاقة يسير بين الخلايا، ومن ثم تتجمع المسارات الصغيرة لتشكل مسارات كبيرة تسري فيها كمية كبيرة وهائلة من الموجات الكهرومغناطيسية والناجمة بدورها عن تجمع الموجات الكهرومغناطيسية الخاصة بالأنسجة والمتجمعة أصلاً من مجموع المجالات الكهرومغناطيسية للخلايا، والتي تجمعت من مجموع المجالات الكهرومغناطيسية للذرات المشحونة التي تدخل في التفاعلات الحيوية لكل خلية من الخلايا^(٥٦).

وإنَّ أي نقص في العناصر المشحونة التي تدخل في أي عضو من أعضاء الإنسان، تؤدي إلى نقص أو ضعف في وظائف هذا العضو، سواء أكانت الوظيفة الخاصة التي يؤديها، أو مناعته، أو تجدد، أو غير ذلك. وهذا بدوره يؤدي إلى ظهور ضعف الموجات الكهرومغناطيسية حول العضو المصاب، ومن ثمَّ حدوث المرض.

وانطلاقاً من الحديث المنسوب إلى النبي (صلى الله عليه وآله): «إنَّ الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم»، يرى الدويك أنَّ الشيطان مكوّن من موجات كهرومغناطيسية، وترددات موجاته هذه تختلف عن ترددات موجات الإنسان، لذا فهو يعتقد بنفوذه إلى داخل جسم الإنسان عبر مسارات الطاقة الخاصة بأعضائه والتي تستطيع أن تحمل الموجات الكهرومغناطيسية وتنقلها؛ لأنها مصممة لفعل ذلك أصلاً، ومن ثمَّ فهو قادرٌ على التحكم فيها وتخريب مساراتها متى ما قلّت العناصر الكيماوية المولدة للكهرومغناطيسية في جسم الإنسان، بسبب سوء التغذية أو نوعية الغذاء، من حيث توفر العناصر الكيماوية الأساسية التي تدخل في توليد هذه الموجات أو عدمها^(٥٧).

كما يعتقد الدويك بأنَّ نقص هذه العناصر في الدماغ يُحدث سرعة استثارة في التنبهات العصبية الكهرومغناطيسية في: (منطقة المهاد، وتحت المهاد، والنوى القاعدية، والجهاز اللمبي)، فيحاول الشيطان بطبيعته الكهرومغناطيسية التي تستطيع -وبشكل خارق- أن تؤثر على العناصر المشحونة الموجودة في جسم الإنسان، وهو قادر على أن يستثير هذه الخلايا العصبية المستثارة أصلاً بسبب نقص العناصر التي فيها، ومن ثمَّ يسهل عليه السيطرة عليها وتوجيهها باتجاه الاكتئاب والقلق والهم والغم والحزن والوسواس^(٥٨).

ويضيف، إنَّ مرض الوسواس -الذي تتحكم به منطقة المهاد الموجودة في باطن الدماغ يولد أفكاراً تدفع بالإنسان لفعل تصرفات لا يريد أن يفعلها إنما يضطر لفعلها، وما ذلك إلا بسبب الأفكار والأوهام والوسوسة التي يسهم فيها نقص العناصر بالدرجة الأولى، ويستغل الشيطان ذلك بالدرجة الثانية، فيسبب عند المريض شكا عظيمًا وترددًا كبيرًا في العقيدة، كما أنه يستطيع أن يؤثر على الجهاز اللمبي المسؤول

بشكل رئيس عن سلوك الإنسان وانفعالاته. إذ أنّ هذا الجهاز مسؤول عن العواطف وعن الانفعالات عند الإنسان من خوف وتوتر وقلق وغضب وثوران وشهوة.

يقول: «وكون هذا الجهاز يحيط بمركز الدماغ من كافة النواحي فأني أعتقد، والله أعلم، بأنّ هذا الجهاز وخلاياه العصبية تتعرض لهجوم إبليس عليها من كافة النواحي، من الأمام والخلف ومن اليمين ومن الشمال»^(٥٩).

إذ يعتقد الدويك أنّ المقصود من قوله تعالى -حكاية عن إبليس-: «...ثُمَّ لَأْتِيَهُمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ...»^(٦٠) هي تلك المناطق الموجودة في الدماغ، وتحديدًا في الجهاز اللمبي، فهو يهاجم المنطقة الخلفية من الجهاز اللمبي والمخيخ -المسؤولان عن الذاكرة والتذكر- فيسبب النسيان، ويهاجم النوى القاعدية القريبة من المنطقة السمعية فيسبب الوسوسة السمعية، ويهاجم منطقة تحت المهاد المسؤولة عن الأوهام والأفكار، والتي بتنبئها تحدث الأوهام والأفكار غير الحقيقة وبشكل مبالغ فيه^(٦١).

وبعد النتائج التي توصل إليها الدويك، فإنه ينصح بتناول الطعام الغني بالعناصر التي تحافظ على كهرومغناطيسية الجسم الطبيعية، معتمداً في ذلك على آيات القرآن الكريم الحاتة على تناول الطيبات من الطعام، مؤكداً في الوقت نفسه على تناول التمر وعدد التمرات المفروض تناولها يومياً، وقد حصرها بإحدى وعشرين ثمرة على عدد الآيات القرآنية التي تذكر النخيل والرطب^(٦٢).

تعقيب:

الأمر الذي يثير الغرابة في بحث الدويك، قناعته بأنه قد توصل إلى معرفة تركيبية (الشيطان) الكهرومغناطيسية، والأشد غرابة من ذلك، قناعته بأنّ لهذه التركيبية موجات ذات ترددات تختلف عن ترددات موجات الإنسان!! ولا أرى تصريحه هذا إلاّ رجماً بالغيب، إذ لم يسبق وأنّ تعرّف أحدٌ على شيء غيبي لم يُعرف عنه شيء إلاّ من خلال الإخبار الإلهي.

وإذا سلّمنا أنّ الله عز وجل قد أخبرنا بأنّ الشيطان من الجنّ، وأنّ الجنّ مخلوقون من نار، فإنه في الوقت نفسه لم يخبرنا بما آلت إليه مادة الشيطان بعد خلقه، إذ من المحال أن تكون النار التي خلُق منها بصفة هذه النار التي نراها في عالمنا الشهودي، وإلاّ لكنّا رأيناها أيضاً، أو لا أقلّ كان محسوس الأثر في الأبحاث المخبرية، كما هي الحال في كثير من الموجات المغناطيسية والراديوية والمايكرويفية... وغيرها من الموجات التي توصل العلماء إلى الكشف عنها وعن عملها بدقة..!

نعم.. لعلّ النتائج التي توصل إليها الدويك في علاج بعض المرضى النفسيين صحيحة، وأنها أنتت بنتائج مذهلة (بحسب وصفه)، ولكن أغلب الظن أنها عائدة إلى التوازن الغذائي وعناصره في جسم الإنسان التي يحافظ بها على العمليات الأيضية والفسلجية الطبيعية للجسم، ولا سيما عمل الدماغ المتحكم في فعاليات الإنسان كلها، وقد لا يكون لهذا الأمر أي ربط بعمل الشيطان ووسوسته له، وإلاّ لصار فقراء الناس الذين لا يستطيعون تأمين قوت يومهم مرتعاً للشيطان والأمراض النفسية والعصابية التي يسببها، ولصار جامعو أموال السحت القادرين على شراء وتناول لذائذ الطعام أبعد ما يكون عنه وعن إغراءاته، لأنهم لا محالة في تعويض دائم لكل ما يفقدونه من عناصر غذائية.

أضف إلى ذلك، فإنّ مشهور علماء المسلمين يستبعدون قدرة الشيطان على الدخول في جسم الإنسان ويرون أنّ ساحة عمله هي النفس الإنسانية، وحتى من يؤمن منهم بورود حديث (إنّ الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدّم) فإنه يأخذه على تقدير المجاز لا على نحو الحقيقة، ولا سيما أنّ القرآن الكريم بين كيفية العلاج من وسوسة الشيطان، وهي عن طريق الذكر والصلاة وضبط النفس والابتعاد عن التخلق بالأخلاق الذميمة، ولا دليل على أنّ إبعاده يكون عن طريق انتقاء الإنسان لأطعمة معينة.

فالله تعالى هو خالق الإنسان وهو خالق الشيطان وهو العالم بطبيعتيهما، وعالم بمن له السلطة على من، وهو الذي أخبرنا بأنّ كيد الشيطان ضعيف وليس له سلطان على الإنسان المؤمن، وعلمنا كيفية الانتقاء من شره بقوله عز وجل: ﴿وَأِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾^(٦٣)، وبقوله: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا

وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾... إلى غيرها من آيات الذكر الحكيم.

الخاتمة:

بعد تفصي البحث في طيات تفسيرات علماء المسلمين وعلماء الطب، واستقراء آرائهم، ترشّح له النتائج الآتية:

- ١- لا يمكن لأحد أن يدّعي معرفة الآلية التي يؤثر بها الشيطان على الإنسان، لأنها من عالم الغيب الذي لم يطلع عليه أحد، اللهم إلا اذا كان ذلك بإعلام إلهي.
- ٢- النفس الإنسانية تعد أرضية خصبة لقبول الخواطر، سواء كانت في الخير أم في الشر، ولا تصدر هذه الخواطر إلا عن سبب، وهذا السبب جعله الله تعالى يجري على يد الملك أو الشيطان كل بحسبه، وبثبوت ذلك، يثبت وجود كل منهما في عالم الخلق.
- ٣- لما ثبت بطريق شرعي قدرة الشيطان على التأثير في نفس الانسان وتفكيره، فلا يُستبعد أن تكون بعض الأمراض النفسية التي تصيبه من ذلك التأثير. على الرغم من أنّ علماء التحليل النفسي يرونها نتيجة تراكمات حاجات نفسية في اللاشعور.
- ٤- بما أنّ مسرح عمل الشيطان النفس الإنسانية، فإنّ التخلص من وساوسه الداعية إلى الشر يكون عن طريق تهذيب النفس على فعل الخير والإكثار من تدريبها على ذلك -أو ما يسمى بالبرمجة العصبية في المصطلح المعاصر- حتى يكون سجية لها، وليس عن طريق آخر.

الهوامش:

- ١- شاهد قناة الرقبة الشرعية الفضائية على القمر نايل سات بتردد ١١٦٠٢ ، وترميز ٢٧٥٠٠ واستقطاب ٥/٥ أفقي ، وقناة كاريزما الفضائية على القمر نايل سات بتردد ١٠٧٢٧ ، وترميز ٢٧٥٠٠ واستقطاب ٤/٣ أفقي .
- ٢- تصفّح موقع موقع الله الشافي للرقية الشرعية <http://alroqya.com/portal> بإشراف الشيخ الدكتور خالد الحبيشي ، وموقع نور الشفاء للرقية الشرعية <http://www.nour-alchifaa.com> .. وغيرهما..
- ٣- ظ الخروج ١٢: ٢٣ ، اللاويين ١٦: ٨-١٠.

- ٤- ظ ما كتب في إنجيلي: لوقا ٢٢: ٣ ، ويوحنا ١٣: ٢٧.
- ٥- ظ: محمد فؤاد عبد الباقي/المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مادة شطن، ص ٥١٦.
- ٦- طه/١٢٠.
- ٧- المجادلة/١٠ .
- ٨- ظ: الشيخ الطوسي(ت: ٤٦٠هـ)/التبيان في تفسر القرآن، ٥٤٩/٩ ، الفخر الرازي (ت: ٦٠٦هـ)/مفاتيح الغيب، ٢٦٨/٢٩ .. وغيرهما.
- ٩- ظ ابن منظور/لسان العرب، مادة (شطن)، ٢٣٧/١٣.
- ١٠- سورة البقرة/١٤.
- ١١- ظ الطريحي/مجمع البحرين ومطلع النيرين، ٥٧٠/٢.
- ١٢- سورة الصافات/٦٥ .
- ١٣- ظ ابن منظور/لسان العرب، مادة شطن، ٢٣٨/١٣.
- ١٤- ظ محمد متولي الشعراوي/عداوة الشيطان للإنسان، ص ٤.
- ١٥- الناس/٤.
- ١٦- ابن سينا/ جامع البدائع-مجموعة رسائل لابن سينا، الرسالة الرابعة في تفسير المعوذة الثانية، ص ٣٣.
- ١٧- م. ن. ص ٣٣.
- ١٨- ظ الرازي/مفاتيح الغيب، ٤/٥.
- ١٩- ظ م. ن. ٥/٥.
- ٢٠- ظ الشيرازي/المبدأ والمعاد، ص ٣٠١-٣٠٢.
- ٢١- ظ م. ن. ص ٣٠٢.
- *- يقسم الفلاسفة الموجود على موجود بالذات وموجود بالعرض، وأقدم أقسام الموجودات بالذات هو (الجوهر)، حيث يعرفونه بأنه الموجود لا في موضوع، أو أنه ماهية إذا وجدت وجدت لا في موضوع، من قبيل (الجسم) فإنه في وجوده لا يحتاج إلى موضوع كي يتقوم ويتحقق به، على خلاف (العرض) الذي عرفوه بأنه ماهية إذا وجدت وجدت في موضوع، من قبيل اللون -مثلاً- فإنه لا يوجد بصورة مستقلة عن غيره بل لا بد له من موضوع كي يتقوم به. ظ ابن سينا/الشفاء-الإلهيات، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم المقدسة، ١٤٠٤هـ، ٥٨/١.

- ٢٢- ظ صدر الدين الشيرازي/المبدأ والمعاد، ص ٣٠٣.
- ٢٣- ظ م. ن. ص ٣٠٤.
- ٢٤- ابن حبان/صحيح ابن حبان، ٣٢٦/١٤.
- * - الروح البخاري : تعبير عن الدم الذي يجري في عروق الإنسان، يعتبره المتصوفة والعرفانيون خليفةً للنفس الانسانية ورسولها إلى البدن. ظ: صدر الدين الشيرازي (ت: ١٠٥٠هـ)، أسرار الآيات، ص ١٢٤.
- ٢٥- ظ صدر الدين الشيرازي/المبدأ والمعاد، ص ٣٠٥.
- ٢٦- ظ أحمد بن حنبل/مسند أحمد، ١٥٦/٣ ، البخاري/صحيح البخاري، ٢٥٩/٢ ، ١١٤/٨ ... وغيرهما .
- ٢٧- ظ الألوسي/روح المعاني، ٢٣٥/١.
- ٢٨- ظ الطباطبائي/الميزان في تفسير القرآن، ٤٠/٨.
- ٢٩- الأعراف/١٧.
- ٣٠- ظ الطباطبائي/الميزان في تفسير القرآن، ٣٥/٨.
- ٣١- ظ م. ن. ٤٠/٨-٤١.
- ٣٢- البقرة/٢٧٥.
- ٣٣- ظ لطفي الشربيني/الطب النفسي وهموم الناس، ص ٢٦-٢٧.
- ٣٤- م. ن. ص ١٤٢.
- ٣٥- ظ م. ن. ص ٦٦-٦٢ ، ١٤٢.
- ٣٦- ظ م. ن. ص ١٤٥.
- *٢- سيغموند فرويد (١٩٣٩-١٨٥٦)، هو الذي أسس (مدرسة التحليل النفسي، وعلم النفس الحديث)، واشتهر بنظريات العقل واللاوعي، وآلية الدفاع عن القمع وخلق الممارسة السريرية في التحليل النفسي لعلاج الأمراض النفسية عن طريق الحوار بين المريض والمحلل النفسي، وإيجاد التقنيات العلاجية. وعلى الرغم من أن نظريات فرويد ظهر فيها كثير من العيوب مع التقدم في مجال علم النفس، إلا أن أساليبه وأفكاره بقت محافظة على أهميتها في تاريخ الطرق السريرية وديناميكية النفس، وأفكاره لا تزال تؤثر في بعض العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية. ظ موسوعة ويكيبيديا الحرة الإلكترونية، متاح على الرابط ar.wikipedia.org/wiki/سيغموند_فرويد.
- ٣٧- ظ سيغموند فرويد/إبليس في التحليل النفسي، ص ١٦.

- ٣٨- م. ن. ص ١٧.
- ٣٩- ظ م. ن. ص ٢٣.
- ٤٠- ظ م. ن. ص ٨-٩.
- ٤١- ظ م. ن. ص ١٣.
- *٣- الأولى: المدة التي تعاقد بها مع الشيطان، والثانية: عدد المرات التي زار بها الشيطان الرسام.
- ٤٢- ظ م. ن. ص ٢٦.
- ٤٣- ظ م. ن. ص ٤٤.
- ٤٤- ظ م. ن. ص ٤٥.
- ٤٥- م. ن. ص ٤٦.
- ٤٦- الطباطبائي/الميزان في تفسير القرآن ، ٤٠/٨.
- *٤- هكذا ورد الرقم في البحث المطبوع، ولعل الرقم الحقيقي هو (٣٢٢٠) كما يتضح من سياق البحث في الصفحات اللاحقة التي تصف عدد المرضى بـ (الآلاف).
- ٤٧- جميل القدسي الديوك/اكتشاف الآلية التي يؤثر بها قرين الإنسان من الشيطان عليه، ص ١-مقدمة البحث.
- ٤٨- م. ن. ص ٢.
- ٤٩- ظ م. ن. ص ٤.
- ٥٠- الأنبياء/٣٠.
- ٥١- م. ن. ص ١٢-١٣.
- ٥٢- ظ م. ن. ص ١٢-١٣.
- *٥- وهي عملية فيزيائية يتم خلالها انتقال الأيونات من التركيز العالي إلى التركيز الواطي عبر غشاء الخلية لاحتوائه على قنوات مسيطر عليها لكل من أيونات الصوديوم والبوتاسيوم، فعند قيام جهد الفعل تغلق قنوات البوتاسيوم وتفتح قنوات الصوديوم وعندئذ يصبح جهد الفعل مساوياً لجهد توازن الصوديوم، وهو في الوقت نفسه لا يسمح لنفوذ الجزيئات الكبيرة مثل البروتينات والأحماض النووية.
- ٥٣- ظ يوسف محمد عرب، وآخرون/فسيولوجيا الحيوان، ص ٢٦٨.
- ٥٤- الديوك/الآلية التي يؤثر بها قرين الإنسان، ص ٧.

- ٥٥- ظ م. ن. ص ٨ ، نقلًا عن (كيمياء الإنسان) ، Bernard Jensen ، ١٩٨٣- Chemistry of the man –
Ph.D. – ١st edition – Bernard Jensen ، Publisher.
- ٥٦- ظ م. ن. ص ١٦ ، نقلًا عن: مؤتمر الطاقة البشرية (١٠-١١ مايو ٢٠٠٥) برعاية سمو الشيخة فاطمة بنت مبارك، جمعية نهضة المرأة الطيبانية، بحث جميل القدسي الدويك بعنوان أسس علم الطاقة في القرآن الكريم.
- ٥٧- ظ م. ن. ص ١٧.
- ٥٨- ظ م. ن. ص ٢٢.
- ٥٩- م. ن. ص ٢٨.
- ٦٠- الأعراف/١٧.
- ٦١- ظ: م. ن. ص ٢٩-٣٠.
- ٦٢- ظ: م. ن. ص ١٨.
- ٦٣- الأعراف/٢٠٠-٢٠١.
- ٦٤- النحل /٩٩-١٠٠.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- ١- أحمد ابن حنبل: أبو عبدالله الشيباني المروزي (٢٤١-١٦٤هـ)/مسند أحمد، دار صادر-بيروت.
- ٢- الألوسي: شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي (ت: ١٢٧٠هـ)/روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، إحياء التراث العربي-بيروت، ط ٢.
- ٣- البخاري: أبو عبد الله محمد بن اسماعيل (ت: ٢٥٦هـ)/صحيح البخاري، دار الفكر-بيروت، ١٩٨١م.
- ٤- جميل القدسي الدويك/اكتشاف الآلية التي يؤثر بها قرين الإنسان من الشيطان عليه، بحث مقدم إلى مركز الأبحاث العلمية في مؤسسة الدكتور جميل القدسي الدويك لمؤتمر العلاج بالقرآن بين الدين والطب (منشور على شبكة الإنترنت بصيغة ملف وورد).
- ٥- (حبان) ابن حبان (ت: ٣٥٤هـ)/صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة-بيروت، ط ٢، ١٩٩٣م.
- ٦- الرازي: فخر الدين أبو عبدالله محمد بن عمر القرشي الشافعي (ت: ٦٠٦هـ)/مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، دار الكتب العلمية-بيروت، ط ٣.

- ٧- (سينا) ابن سينا: أبو علي الحسين بن عبدالله بن الحسين بن علي بن سينا/ جامع البدائع (مجموعة رسائل لابن سينا)، تحقيق: محمد حسن محمد حسن اسماعيل، دار الكتب العلمية-بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.
- ٨- ابن سينا/الشفاء-الإلهيات، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم المقدسة، ١٤٠٤هـ.
- ٩- الشيرازي: صدر الدين محمد بن إبراهيم (ت: ١٠٥٠هـ)/المبدأ والمعاد، تحقيق: جلال الدين الأشتياني، مركز انتشارات دفتر تبليغات إسلامي، ط٣، ١٤٢٢هـ.
- ١٠- الطباطبائي: محمد حسين (ت: ١٤١٢هـ)/الميزان في تفسير القرآن، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية - قم المقدسة.
- ١١- الطريحي: فخر الدين بن محمد علي بن أحمد بن طريح النجفي (ت: ١٠٨٥هـ)/مجمع البحرين ومطلع النيرين، تحقيق: أحمد الحسيني، مكتب نشر الثقافة الإسلامية، ط٢، ١٤٠٨هـ.
- ١٢- فرويد: سيغموند فرويد/إيليس في التحليل النفسي، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الطليعة-بيروت، ط١، ١٩٨٠م.
- ١٣- لطفي الشربيني/الطب النفسي وهموم الناس، منشأة المعارف-الاسكندرية، ٢٠٠٣م.
- ١٤- محمد فؤاد عبد الباقي/ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، أوند دانش-إيران.
- ١٥- محمد متولي الشعراوي/عداوة الشيطان للإنسان، تحقيق: أحمد الزغبى، دار القلم، ط١، ٢٠٠٠م.
- ١٦- (منظور) ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين (ت: ٧١١هـ)/لسان العرب، نشر أدب الحوزة-إيران، ١٤٠٥هـ.
- ١٧- موسوعة ويكيبيديا الحرة الإلكترونية، متاح على الرابط ar.wikipedia.org/wiki
- ١٨- يوسف محمد عرب، وآخرون/فسيولوجيا الحيوان، مطابع دار الكتب- جامعة الموصل-العراق، ١٩٨٩م.

